تصف هؤلاء الخلفاء بما يتناسب وحاجة الملك الجديد ، فالخليفة على كرمه وشجاعته وبأسه وقوته وإشراق جماله وصورته ، يجب أن يكون نظيف الأعضاء جميل الملابس ينثر الطيب والعطور بين يديه ، يصلح الفاسد ، ويمنع الفاحشة ويأمر بالعدل والإحسان ، ويتعلق بالدين ، ويبتعد عن الرشوة وبيت المال ، ويقف من الشعب موقف العادل الأمين يجمعهم على حبه والإخلاص له ، ويقوم بسداد أمورهم فيدفع عن ثغورهم الأعداء ، ويبسط الأمن فى البلاد ، وذلك لأن مستلزمات الحكم كانت تستوجب هذا ، كما نقول اليوم بلغتنا العصرية .

فبشار بن برد يمتدح المهدىّ فيرى أنه فتى قريش فى مكارمه وتدينه :

فَتَى قُرَيْشٍ دِيناً ومكرمة ... وَهَبْتُ وُدِّى لَهُ بِمَا وَهَبَا

أَعْطَى من الصَّمت والولائد والـ ... عبدان حتى حسبته لَعِبَا

يزيّن المنبر الأشم بعط ... فَيْهِ وأقواله إذا خطبا

وتشرق الأرض من محاسنه ... كأنَّ نورًا فى الشمس مجتلبا

وهكذا ترى أن الشاعر يذكر الدين والتقى وقوة الخطابة وإشراق الجمال فكأنه يتغزل بمحاسنه وحديثه ، فيزين حبه للناس ويجمعهم حوله ، وبذلك يشترك مع العصر فى استحسان هذه الصفات الجديدة عند الممدوح ، فهى صفات تتطلبها الحضارة العباسية كما قلنا ، ويقول فى مكان آخر يمدح المهدى :

إذا غدا المهدىّ فى جنده ... أوْ رَاح فى آل الرسول الغِضابْ

بدا لك المَعْرُوف فى وَجْهِهِ ... كالظُّلْم يجرى فى ثنايا الكعابْ[1]

لا كالفتى المهدىِّ فى رهطِهِ ... ذو شيبة كهل ولا ذو شبابْ

(١) الظلم بالفتح : بريق الأسنان .